مركز حمورابي

مفارقة الهزيمة: كيف تؤدي النجاحات العسكرية في (إسرائيل)إلى فشل سياسي

مفارقة الهزيمة: كيف تؤدي النجاحات العسكرية في (إسرائيل)إلى فشل سياسي

بقلم: ألوف بن

ترجمة: صفا مهدي عسكر

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

14 تشرين الاول 2024

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجـــــوز نشـــــر أي من هذه الابحـــــاث والدراســـات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

في 7 من تشرين الأول الماضي، فاجأت حركة حماس وكالات الاستخبارات والجيش (الإسرائيلي) وعلى مدار سنوات، كانت الوكالات قد علمت عن استعدادات الجماعة الفلسطينية لاجتياح (إسرائيل(وقيامها بقتل وخطف جنود ومواطنين (إسرائيليين). لكنهم فشلوا في تصديق أن حماس ستجرؤ على تنفيذ مثل هذه العملية غير المسبوقة أو أنها ستنجح فيها. كان الجيش) الإسرائيلي) ووكالات الاستخبارات، ورئيس الوزراء (الإسرائيلي) بنيامين نتنياهو والجمهور الإسرائيلي الأوسع جميعهم يعتقدون أن الحدود الجنوبية المحصنة لبلادهم لا يمكن اختراقها وأن ميزان القوى مائل لصالح (إسرائيل)، مما يجعل حماس غير قادرة على تحدي الوضع القائم.

لكن حماس تحدت هذا الوضع في الأيام والأسابيع التي تلت الهجوم المدمر، كان من الشائع بين (الإسرائيليين) قول "لقد تغير كل شيء". وفي لحظة بدا أن كل شيء قد تغير بالفعل الهجوم حطم الثقة الأساسية لدى (الإسرائيليين) بأنفسهم، وأدى إلى قلب المعتقدات الراسخة حول أمن البلاد، وسياساتها، ومعاييرها الاجتماعية. فقدت قيادة الجيش (الإسرائيلي) هيبتها تقريباً بين عشية وضحاها عندما ظهرت تفاصيل حول فشلها في منع الهجوم، ثم وصولها متأخرة لإنقاذ المجتمعات الحدودية، والنقاط العسكرية والمدنيين.

اختفت الدراما السياسية التي كانت قد اجتاحت (إسرائيل) خلال التسعة أشهر التي سبقت 7 تشرين الاول، والتي تمثلت في محاولة نتنياهو لإجراء تعديل شامل على النظام القضائي. كان الهدف من هذا التعديل هو تقليص استقلالية المؤسسات الحكومية مثل المحكمة العليا، ومكتب المدعي العام والجهاز المدني التكنوقراطي، لتوجيه المزيد من السلطة نحو حلفائه من اليمين والأحزاب الدينية، أصبح المهندس الرئيسي لهذا التعديل وزير العدل (ياريف ليفين)، شبه مختفي ويُفترض أنه تأثر بشعور الندم بسبب مساهمته في تشتيت انتباه (إسرائيل) قبيل هجوم حماس. وفي ظل هذا الوضع قام نتنياهو بتشكيل حكومة وحدة حرب تمثل فئات سياسية مختلفة، عادة ما تكون متعارضة بشدة، وفي غضون أيام دعا حوالي 250,000 من جنود الاحتياط لإطلاق هجوم مضاد على غزة.

بعد تجاوز الصدمة الأولية بدأت قوات الدفاع (الإسرائيلية) بالرد بقوة. كانت مهمتها تفكيك القدرات العسكرية والإدارية لحركة حماس، حيث حولت مساحات واسعة من غزة إلى أنقاض، وأجبرت نحو مليوني غزاوي على النزوح الداخلي، وقتلت أكثر من 40,000 فلسطيني،

وفقًا للتقييمات (الإسرائيلية) الرسمية، حيث كان حوالي ثلثهم من مقاتلي حماس تمكنت IDF من إيقاف إطلاق الصواريخ من غزة نحو (إسرائيل)وتفكيك جزء كبير من نظام الأنفاق الخاص بحماس، مدعية أنها شتتت المجموعة المنظمة سابقًا إلى فرق حرب عصابات متفرقة.

ومع أن IDF تسيطر على حوالي ثلث أراضي غزة، إلا أن الوضع الحالي يشعر الكثير من (الإسرائيليين) وكأنه هزيمة. على الرغم من التعبئة الكاملة والدعم شبه المستمر من الحكومة الأمريكية، فإن IDF - التي لا تزال تحت نفس القيادة التي كانت عليها في 7 تشرين الاول فشلت في تحقيق النصر. قائد حماس يحيى السنوار، لم يستسلم، ولا يزال حوالي 100 رهينة (إسرائيلي) مفقودين في غزة، وفقًا لتصريحات نتنياهو، فإن حوالي نصفهم ما زالوا على قيد الحياة.

تساهم هذه الحالة الكارثية إلى جانب العزلة المتزايدة (لإسرائيل) على الساحة العالمية والتوقعات الاقتصادية القاتمة، في شعور وطني باليأس والإحباط بشكل متناقض، لم تتغير جوانب مهمة من السياسة والمجتمع (الإسرائيلي) بشكل ملحوظ منذ اللحظات الأولى بعد هجوم حماس. لا يزال سكان المجتمعات الحدودية في الشمال والجنوب غير قادرين على العودة إلى منازلهم. بدلاً من توحيد (الإسرائيليين) اليهود ضد عدو خارجي مشترك، فإن الصراع متعدد الجبهات الذي تخوضه (إسرائيل) ضد أعدائها قد زاد من الانقسامات الاجتماعية والسياسية القائمة بين معارضي نتنياهو ومؤيديه. على الرغم من توقعات خصومه وأصدقائه على حد سواء، لا يزال نتنياهو يمثل مركز الثقل في السياسة (الإسرائيلية). وقد زاد الائتلاف اليميني الذي يدعمه من سعيه لسحق حركة الدولة الفلسطينية و(استبدال النخبة الإسرائيلية)، وهو تعبير ملطف لهدم المؤسسات الديمقراطية والليبرالية في البلاد.

ثم في 17 ايلول بدأت القوات العسكرية (الإسرائيلية) بشن سلسلة من الهجمات المضادة المتزايدة الجرأة ضد حزب الله اللبناني، الذي فتح جبهة ثانية في الشمال بعد يوم واحد من هجوم حماس في الجنوب. اغتالت (إسرائيل) قائد حزب الله (حسن نصر الله)، وشنت هجومًا بريًا على جنوب لبنان وقد قدمت الكثير من تعليقات وسائل الإعلام الرئيسية في (إسرائيل) توسيع الأعمال العدائية ضد الشمال كفرصة ليس فقط لسحق حزب الله، ولكن أيضًا لإثبات لنفسها أنها قد تجاوزت أخيرًا عامها المرعب من الصدمات والهشاشة.

وأنها استعادت قوتها وذكائها وتكنولوجيتها المدهشة التي تحتفل بها العالم مرة أخرى. ولكن تمامًا كما لم تُغير الحرب في غزة العديد من الحقائق الأساسية المقلقة في (إسرائيل) كما كان يتوقع (الإسرائيليون)، فإن هذه الجبهة الجديدة لن تغير الوضع ما لم تواجه (إسرائيل) التغييرات العميقة التي يجب أن تقوم بها في سياستها تجاه الفلسطينيين وفي سياستها الداخلية.

الحركة المتناقضة

بعد أسبوع من هجوم 7 تشرين الاول لو أخبرت (إسرائيليًا) عاديًا حتى لو كان من مؤيدي نتنياهو، بأن "بيبي" سيظل رئيسًا للوزراء بعد عام، مدعومًا من نفس الائتلاف اليميني لكان من المحتمل أنه لم يصدقك. على مر تاريخ (إسرائيل) بعد أسوأ الكوارث الأمنية، سقطت الحكومة المدنية دائمًا في نهاية المطاف بعد فشل الجيش في حرب يوم الغفران عام 1973 وغزوه للبنان عام 1982، عاد جنود الاحتياط الغاضبون من الجبهة للاحتجاج وأجبروا رئيسي الوزراء غولدا مئير ومناحيم بيغن على الاستقالة. في كلا الحالتين أطلقت الحكومة تحقيقات شاملة حول الأخطاء التي ارتكبت.

كان من المعقول أن نفترض أن نتنياهو سيواجه وضعًا أسوأ على مر العقود في السياسة، قدم نفسه على أنه "سيد الأمن". وادعى أنه يفهم كيفية الحفاظ على أمان البلاد بشكل أفضل من جنرالات (إسرائيل) الذين اعتبرهم جبناء وغير مبتكرين، ومنخرطين بشكل مفرط في رغبات الولايات المتحدة. كانت أكبر منافسيه السياسيين من بين القادة العسكريين السابقين الذين شغلوا أيضًا منصب رئيس الوزراء أو وزير الدفاع، مثل يتسحاق رابين، وإيهود باراك وأرييل شارون وبيني غانتس ويوآف غالانت وزير الدفاع الحالي. تقليديًا كانت أعلى المناصب في الجيش (الإسرائيلي) ووكالات الاستخبارات تتألف من ليبراليين من أصول أشكنازية، وهي المؤسسة التي تعهد نتنياهو طويلًا بالاستيلاء عليها. وقد قادت هذه المؤسسة الانتفاضة الشعبية ضد اقتراح نتنياهو في أوائل عام 2023 لتعديل النظام القضائي في (إسرائيل).

ومع ذلك فإن استمرار نتنياهو في الحكم يمثل ربما أكبر خرق للنمط التاريخي (الإسرائيلي) خلال العام الماضي. حتى اليوم، يرفض نتنياهو تحمل أي مسؤولية عن مقتل 1,200 (إسرائيلي)، وإصابة العديد الآخرين، واختطاف 250 رهينة، والتدمير الواسع للمجتمعات الحدودية والإجلاء اللاحق للمجتمعات في شمال (إسرائيل) بينما تدهورت معدلات موافقته في أواخر عام 2023،

تحسنت شعبيته تدريجيًا منذ ذلك الحين، لكنها لا تزال أقل من شخصيات المعارضة مثل رئيس الوزراء السابق نفتالي بينيت. أظهرت استطلاعات الرأي التي أجرتها قناة كيشيت 12، القناة الإخبارية الرئيسية في (إسرائيل) أنه إذا جرت انتخابات اليوم، فإن ائتلاف نتنياهو الذي يحتفظ حاليًا بـ 68 مقعدًا في الكنيست سيحقق فقط 46 مقعدًا. ومع كون نتنياهو قارئًا نهمًا لاستطلاعات الرأي، فهو يعرف أن الجمهور (الإسرائيلي) غاضب، وقد اتبع استراتيجية متعددة الأوجه للبقاء في السلطة. لقد اتفق نتنياهو وأنصاره على أن اللوم عن 7 تشرين الاول يقع بالكامل على عاتق الجيش (الإسرائيلي) والشين بيت، جهاز الأمن المكلف بمراقبة الفلسطينيين، وكذلك على (الإسرائيليين) الذين احتجوا على جهود تعديل النظام القضائي، وخاصة جنود الاحتياط الذين هددوا بعدم الحضور لأداء واجباتهم التطوعية.

من خلال تجنب المسؤولية والمناورة بعناية للحفاظ على كتلته السياسية، تمكن نتنياهو من تجنب تحقيق مدمر حول سياسته المتعلقة بالتعايش مع حماس، وإهماله التحذيرات المتكررة من الجيش والوكالات الاستخباراتية بشأن هجوم وشيك على (إسرائيل)، وجهوده لتقويض السلطة الفلسطينية، شريك السلام السابق (لإسرائيل). خشيًا من الهزيمة في صناديق الاقتراع وكونه يسعى لإيجاد طريقة لتأجيل محاكمته المستمرة بتهم الفساد، تمكن نتنياهو أيضًا من تجنب الانتخابات المبكرة. أحد مكونات استراتيجيته هو إطالة أمد الحرب في غزة، وتوسيعها إلى لبنان، وتجنب اتفاق وقف إطلاق النار مع حماس حتى على حساب التخلي عن الرهائن المتبقين في غزة.

لحماية نفسه منح نتنياهو قدرًا استثنائيًا من السلطة لرفاقه من اليمين المتطرف، الذين يعارضون بشكل علني أي صفقة مع الرهائن قد تشمل انسحابًا (إسرائيليًا) من غزة أو إطلاق سراح فلسطينيين من السجون (الإسرائيلية). يمثل هذا أيضًا تغييرًا جذريًا في الموقف الوطني. لطالما اعتز (الإسرائيليون) باستعدادهم لفعل كل ما يلزم لإعادة الرهائن والأسيرين إلى الوطن، كما يتضح من غارة الجيش الإسرائيلي عام 1976 في إنتيبي، أوغندا، لإنقاذ ركاب طائرة فرنسية كانت مختطفة في طريقها من (تل أبيب) إلى باريس عملية جريئة فقد فيها شقيق نتنياهو الأكبر، يوني، حياته قبل خمس سنوات فقط، سافر رئيس الوزراء إلى موسكو وتفاوض شخصيًا مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين للإفراج عن امرأة (إسرائيلية) شابة تم احتجازها بتهمة تهريب

المخدرات ولكنه لم يفعل الشيء نفسه بالنسبة للرهائن الذين اختطفوا في 7 تشرين الاول.

فهمًا للنفوذ الذي منحتهم إياه عزيمة نتنياهو للحفاظ على السلطة، دفع أعضاء ائتلافه أولوياتهم بجدية متجددة، بما في ذلك الدعوات لإعادة بناء المستوطنات اليهودية في غزة التي تخلى عنها شارون في عام 2005. على الرغم من أن نتنياهو يرفض الفكرة علنًا، فإنه قد يُغرى بأن يصبح أول زعيم (إسرائيلي) يوسع من مطالب (إسرائيل) الإقليمية بعد عقود من الانسحابات من الأراضي الفلسطينية. في الأسابيع الأخيرة عاد ليفين، وزير العدل من الظلال ليعيد دفعه نحو تعديل النظام القضائي وبدلاً من اتباع الطريق التشريعي، انتقل إلى الانخراط في صراع بيروقراطي، حيث منع تعيينات قضائية وزاد من تجاهله للنصائح القانونية من المدعي العام (الإسرائيلي) غالي بهاراف-مئير.

في السنوات التي سبقت 7 تشرين الاول، كان بعض القادة العرب (الإسرائيليين) يقومون بدفع ناجح لدمج المواطنين الفلسطينيين في (إسرائيل) في المجتمع من خلال تأمين حقوق متساوية وفرص اقتصادية أكبر. عقب هجوم حماس، عادت الحكومة عن هذه الحملة من خلال احتجاز وتوجيه اتهامات ضد المواطنين العرب بسبب منشوراتهم على وسائل التواصل الاجتماعي، ومنع التظاهرات المناهضة للحرب. وتبعت وسائل الإعلام الرئيسية ذلك من خلال عدم إضافة أصوات عربية إلى لوحات التعليق التي لا تنتهي. في أقل من عامين، تولى ائتلاف نتنياهو السيطرة السياسية على قوة الشرطة الوطنية وحولها إلى أداة شخصية لوزير الأمن القومي الشعبي اليميني المتطرف (إيتامار بن غفير) وهو من أتباع الحاخام العنصري (مئير كاهانا). شرع بن غفير في حملة من الحرب البيروقراطية، بتعيين أصدقائه في المناصب العليا، وترقية الضباط الذين اعتقلوا بشكل غير قانوني أو هاجموا بعنف المحتجين المناهضين للحكومة، وتجاهل تصاعد الهجمات التي قام بها مستوطنون يهود متطرفون ضد القرى الفلسطينية في الضفة الغربية، وتجاهل الارتفاع الحاد في الجريمة العنيفة في المجتمعات العربية في (إسرائيل). بالنسبة لبن غفير كلما قل عدد العرب كان ذلك أفضل لليهود.

حتى وقت قريب، كان معظم اليهود (الإسرائيليين) يرون مثل هذه المواقف العنصرية كشيء غير مقبول. ولكن من خلال عدم معارضتها بشكل علني، قام نتنياهو بتطبيعها. وفي الوقت نفسه يقوم مسؤول آخر من اليمين المتطرف في حكومة نتنياهو، وزير المالية (بتسلال سموتريتش)،

بقيادة جهد للاستيلاء على الأراضي في الضفة الغربية وتقويض السلطة الفلسطينية من خلال تجويعها ماليًا. وقد صرح سموتريتش وبن غفير بوضوح عن هدفهما: وهو ضم كامل للضفة الغربية، الذي أصبح الآن مصحوبًا بالاحتلال الرسمي لقطاع غزة.

قانون الفدية

الحرب متعددة الجبهات التي تشارك فيها (إسرائيل) حاليًا تمثل أيضًا حربًا داخلية، حيث يسعى رئيس الوزراء نتنياهو إلى تغيير المعايير والمواقف السائدة. رغم تقاسمه العديد من المعتقدات الأيديولوجية مع حلفائه من اليمين إلا أنه أصبح رهينة لهم، وهو الآن يحاول أيضًا احتجاز الرأي العام (الإسرائيلي)

لقد وضعت هجمة 7 تشرين الاول (الإسرائيليين) العلمانيين والعالميين في موقف صعب، حيث كان هؤلاء ينظرون إلى بلدهم كجزء فخور ومتحد مع الغرب. على مدى العقود الثلاثة التي تلت مؤتمر مدريد عام 1991 واتفاقات أوسلو عام 1993، اعتبروا صراعهم مع الفلسطينيين مشكلة ثانوية يمكن إدارتها والتعايش معها. ومن خلال استراتيجيته بعد عودته السياسية في عام 2009، نجح نتنياهو في بناء تحالف ضمني مع النخب الليبرالية في (إسرائيل)، رغم محاولاته لتعديل النظام القضائي.

لكن الآن، يجد الليبراليون (الإسرائيليون) أنفسهم تحت ضغط مزدوج، من جهة الرفض في الخارج من الغرب التقدمي، ومن جهة أخرى من شيطنة وتهميش قاعدة نتنياهو. بينما يعاني اليهود (الإسرائيليون) المحافظون والمتدينون من تراجع قيمة الشيكل وارتفاع التضخم، يجدون معنى في النضال العسكري. على وجه الخصوص، يشعر المستوطنون المتعصّبون في الضفة الغربية بأن معارضتهم للانسحاب من غزة في عام 2005 قد تم التحقق منها، ويعتبرون هذه الحرب فرصة لرفع مكانتهم في المجتمع (الإسرائيلي)

بسبب الضغوط المتزايدة لجأ العديد من الليبراليين (الإسرائيليين) إلى استراتيجيتين للبقاء الأولى هي الهجرة، حيث يسعى البعض إلى مغادرة البلاد مؤقتًا أو الحصول على جوازات سفر أجنبية. هذا الاتجاه كان موجودًا قبل الحرب في غزة، وقد زاد مع استمرار حكم نتنياهو. الوجهات الأكثر شعبية تشمل اليونان والبرتغال وتايلاند، بالإضافة إلى ملاذات تقليدية مثل لندن ونيويورك. وقد تمكن بعض المهاجرين من العمل عن بُعد كرحالة رقميين مما يسمح لهم

بالاحتفاظ بوظائفهم في (إسرائيل).

أما الاستراتيجية الثانية للبقاء فهي التمسك بالمواقف والاحتجاج ضد نتنياهو وائتلافه، مع دعم النضال العسكري ضد حماس وحزب الله والدعوة لإطلاق سراح الرهائن المتبقين. في أواخر أغسطس وصلت أزمة الرهائن إلى ذروتها عندما مات ستة (إسرائيليين) في رفح. في أعقاب ذلك، خرج مئات الآلاف من (الإسرائيليين) إلى الشوارع في أكبر احتجاجات مناهضة للحكومة منذ 7 تشرين الاول.

ومع ذلك لم تنجح هذه الاحتجاجات حتى الآن في التأثير على أركان ائتلاف نتنياهو. وقد دعم هذه المظاهرات نفس الشخصيات الذين قادوا الاحتجاجات ضد تعديل نتنياهو للنظام القضائي، ولكن رئيس الوزراء تجاهل هذه الاحتجاجات، مُصورًا المتظاهرين كقوة سياسية تسعى للإطاحة به وتستخدم محنة الرهائن كذريعة.

يأمل معارضو نتنياهو أن يحدث انشقاق قد يؤدي إلى تغييرات جوهرية. إحدى نقاط الضغط التي يواجهها نتنياهو هي مسألة إعفاء الشباب الحريديم من التجنيد لعقود برر القادة الحريديم هذا الإعفاء بحجة أن شبابهم بحاجة إلى الحماية من إغراءات الحياة العلمانية في الثكنات. ولكن الحرب أظهرت الفجوة القاسية بين الحريديم الذين لا يتعين عليهم الخدمة وبقية الشباب (الإسرائيليين) الذين يُطلب منهم الموت من أجل (إسرائيل).

في حزيران، أكدت المحكمة العليا (الإسرائيلية) أنه لا يوجد أساس قانوني للإعفاء الحريدي، وأن التجنيد يجب أن يعامل جميع الشباب بشكل متساوٍ. ومع ذلك تأخرت الحكومة في تنفيذ هذا الحكم، وكانت القوات العسكرية مترددة في التجنيد بالقوة. ستظهر هذه القضية مرة أخرى قريبًا عندما يصوت البرلمان (الإسرائيلي) على ميزانية العام المقبل، حيث هدد القادة الحريديم بإسقاط الحكومة ما لم يتم إقرار إعفاء التجنيد المطلوب. لحماية موقفه، استقطب نتنياهو مؤخرًا منافسًا قديمًا، غيديون ساعر، وزير العدل الإسرائيلي السابق، إلى ائتلافه.

جروح ذاتية

على الرغم من احتجاجات (الإسرائيليين) ضد نتنياهو ودعواتهم لإعادة الرهائن، وعدم تحقيق حكومتهم لـ"النصر الكامل" الذي وعدت به، تبقى مشاعر المناهضة للحرب ضعيفة في المجتمع (الإسرائيلي)(اليهودي السائد. حتى أولئك الذين يكرهون نتنياهو وقاعدته الاجتماعية المحافظة،

ويفخرون بعالميتهم وإيمانهم بالديمقراطية العلمانية، لا يتبنون القيم السلمية التي يعتبرونها تجسيدًا لأسس الليبراليين الأمريكيين والأوروبيين بعد الحرب العالمية الثانية. يفضل هؤلاء العيش وفقًا لمقولة مشهورة من الفيلم الغربي "الجيد والسيئ والقبيح" (The Good, The Bad, and the Ugly) عام 1966، والتي أصبحت عبارة مكررة في التعليقات (الإسرائيلية): "عندما يتعين عليك إطلاق النار، أطلق النار لا تتحدث" وقد برر (الإسرائيليون) تاريخيًا هذه الفلسفة العدائية بموقعهم في منطقة صعبة حيث وصف باراك هذا الوضع بأنه "فيلا في الأدغال".

أغلب المعارضين الأكثر صوتًا لنتنياهو، بما في ذلك أعضاء بارزين من الجيش الحالي والمتقاعد وأقارب الرهائن المحتجزين في غزة، يتخيلون شيئًا أقل استدامة من السلام عند دعوتهم لوقف إطلاق النار انسحاب مؤقت للجيش (الإسرائيلي) من أجزاء من غزة مقابل الإفراج عن الرهائن من النساء وكبار السن والمرضى، يتبعه إعادة احتلال الجيش (الإسرائيلي) واستئناف الحرب حتى يتم سحق حماس وقتل السنوار. وبعد ذلك، يُفترض العودة إلى نسخة أكثر قسوة من الوضع الذي كان قبل الحرب، بما في ذلك الاستيلاء على أراضٍ في شمال غزة كـ "حزام أمني" الهجوم الجديد في لبنان يعد أيضًا أقل جدلًا، حيث يشجع بعض القادة الذين يعارضون نتنياهو، مثل رئيس الوزراء، على إعادة احتلال مؤقت للتلال عبر الحدود وطرد سكانها اللبنانيين. ورغم أن نتنياهو قد لا يكون محبوبًا، إلا أنه يتبنى سياسة تحظى بشعبية.

قدمت حكومات الولايات المتحدة والعديد من الدول الأوروبية مقاومة رمزية فقط لتحركات (إسرائيل) في غزة والضفة الغربية. حيث فرضت كندا والاتحاد الأوروبي وفرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة عقوبات على بعض المستوطنين العنيفين الذين هاجموا الفلسطينيين، وتوقفت ألمانيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة عن بيع أسلحة معينة، مثل القنابل زنة 2000 رطل، (لإسرائيل) ومع ذلك بشكل عام منحت الدول الغربية (إسرائيل) حرية العمل في عملياتها في غزة والضفة الغربية، ولم تبذل حتى الآن جهدًا حقيقيًا لإحياء عملية السلام (الإسرائيلية) الفلسطينية، مستسلمة لادعاءات نتنياهو بأن الوقت غير مناسب. تعكس هذه السياسة ديناميكية قديمة في العلاقة بين (إسرائيل) والغرب، وخاصة الولايات المتحدة، حيث يتفق الحلفاء الغربيون على اتباع قيادة (إسرائيل) في القضية الفلسطينية ما دامت (إسرائيل) تحترم اهتماماتهم في الشرق الأوسط.

على الرغم من دعم الحكومات الغربية لجهودهم الحربية، يشعر (الإسرائيليون) بشكل متزايد بالانفصال عن بقية العالم. بعض هذا الإحساس بالعزلة مبرر، حيث توقفت معظم شركات الطيران الأجنبية عن الطيران إلى تل أبيب، وتُسجل تصنيفات (إسرائيل) الائتمانية أدنى مستوياتها التاريخية. لكن بعض العزلة ذات طبيعة ذاتية، إذ تبرز وسائل الإعلام العبرية السائدة الاحتجاجات المؤيدة لفلسطين في الجامعات الغربية والأماكن العامة، بالإضافة إلى الحوادث المعادية للسامية، مع قبولها عمومًا لادعاءات نتنياهو بأنها تمثل تجليات أقدم وأعظم أشكال كراهية اليهود. وبالمثل، تُصور الادعاءات بأن (إسرائيل) ارتكبت جرائم حرب أو حاولت إبادة في غزة والتي يتم النظر فيها حاليًا في محكمتين دوليتين - على أنها دعاية شريرة في (إسرائيل).

تغيير القلب

في ايلول، ازدادت ثقة (الإسرائيليين) بأنفسهم عندما تسارعت الحكومة في هجماتها على حزب الله. بعد 7 تشرين الاول أثبت حزب الله قدرته على تدمير المدن (الإسرائيلية) والمطارات ومحطات الطاقة، مما أجبر الجيش (الإسرائيلي) على تقسيم قواته البرية بين شمال وجنوب (إسرائيل). بالنسبة (للإسرائيليين) الذين كانوا محبطين ومعنوياتهم متدنية منذ 7 تشرين الأول، أعادت الهجمات المضادة للجيش (الإسرائيلي) إلى الأذهان ذكرى حرب الأيام الستة عام 1967، حين حققت (إسرائيل) انتصارًا سريعًا بفضل قوتها الجوية المتفوقة. أعلن نتنياهو أن (إسرائيل) "تفوز" في الحرب وهدد إيران، راعية حزب الله، بهجمات مماثلة. كما أمرت وزارة التعليم (الإسرائيلية) بإقامة رقصات احتفالية في المدارس الدينية العامة. ورغم أن اليهود (الإسرائيليين)العلمانيين والليبراليين لم يشاركوا في الرقصات العامة إلا أنهم أيضًا كانوا يشعرون بالفرح، معربين عن تقديرهم لطياريهم الشجعان وعملاء الاستخبارات الأذكياء الذين أعادوا لهم شعور النصر.

لكن هذا الفرح سرعان ما تبخر بعد أن ردت إيران بعدد كبير من الصواريخ، ومقتل ستة أشخاص على متن قطار (تل أبيب). وقد أثبتت العملية البرية الناشئة في لبنان أنها أكثر كلفة، من حيث الخسائر العسكرية (الإسرائيلية)، مقارنةً بالغارات الجوية والعمليات الخاصة السابقة. من الواضح أن حربًا إقليمية أكبر تشمل إيران لن تؤدي إلى انتصارات سريعة ودائمة (لإسرائيل). الشعور (الإسرائيلي) بأنهم يخسرون أكبر من أي نجاح يمكن أن تحقق ضد حزب الله أو إيران.

من الضروري لهم أن يقبلوا بأن واقعهم قد تغير بالفعل منذ 7 تشرين الاول، وأن استراتيجيتهم تحتاج إلى التكيف مع هذا التغيير.

بعد عام لا تزال البلاد في حالة حداد على خسائر المجزرة مع إعادة بث مشاهدها بشكل مستمر في وسائل الإعلام. (إسرائيل) تفقد ميزتها الاقتصادية وتواجه مغادرة كبيرة للنخبة الليبرالية. فشلت الحكومة في إعادة أي شعور بالوحدة بين المواطنين، متمسكةً بسياساتها الانقسامية. قواتها العسكرية وخاصة قوات الاحتياط، تقترب من حالة الإرهاق في أطول حرب غير حاسمة تشهدها البلاد. وحتى لو لم تصدر المحاكم الدولية أوامر اعتقال ضد قادتها، سيتعين على (إسرائيل) التعايش مع التداعيات الأخلاقية والسمعة التي نتجت عن الموت والدمار الذي ألحقته بغزة.

بدلاً من الانغماس في نشوة قتل نصر الله والانزلاق إلى حرب إقليمية شاملة مدمرة ضد إيران، يجب على (إسرائيل) الاستفادة من ميزتها الحالية في ساحة المعركة وضعف حالة حماس وحزب الله. ينبغي عليها إنهاء اتفاق لوقف إطلاق النار بوساطة أمريكية على الجبهتين الجنوبية والشمالية، واستعادة رهائنها، وتسهيل إعادة تأهيل غزة المدمرة، وبدء عملية الشفاء الوطني. إن إطالة أمد الحرب في سعي عقيم لتحقيق "نصر كامل" ستؤدي إلى مزيد من الخسائر والأضرار الاقتصادية، حتى وإن، كما يأمل نتنياهو، فاز دونالد ترامب برئاسة الولايات المتحدة في نوفمبر. لقد كانت غزة ولبنان مستنقعات لوحشية (إسرائيل) لعقود، ويجب ألا تكرر (إسرائيل) الأخطاء القديمة، بل يجب أن تقطع خسائرها وتبرم صفقة. الحكومة (الإسرائيلية) المسؤولة، التي تقيم مصالح البلاد الاستراتيجية على المدى الطويل، كانت ستستغل بالفعل الفرصة لإعادة إطلاق عملية السلام (الإسرائيلية) الفلسطينية وتعزيز اتفاق الدولتين مع محمود عباس، تمامًا كما وقع بيغن معاهدة السلام التاريخية مع مصر. إن إنشاء مسار موثوق نحو دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة هو الأساس الوحيد الذي يمكن أن يدعم الأمن طويل الأمد والقبول الإقليمي (لإسرائيل) ويضمن تطبيع علاقاتها مع السعودية.

تتمثل مأساة (إسرائيل) في أن حكومتها الحالية تقود البلاد في الاتجاه المعاكس. لقد كانت مهمة نتنياهو مدى الحياة هي هزيمة الحركة الوطنية الفلسطينية وتجنب أي تسوية إقليمية أو دبلوماسية معها. الهدف المعلن لتحالفه هو إنشاء دولة يهودية تمتد من النهر إلى البحر، مع منح

حقوق سياسية محدودة إن لزم الأمر، ويفضل عدم منح أي حقوق سياسية لرعايا غير يهود حتى وإن كانوا يحملون الجنسية (الإسرائيلية). تتفاقم الكارثة بسبب أن أحزاب المعارضة الصهيونية تدعو إلى الإطاحة بنتنياهو لكنها لا تجرؤ على رفع علم السلام والتعايش مع الفلسطينيين، خوفًا من الظهور بعدم الوطنية في وقت الحرب أو أن يتم وصمهم بالخيانة من قبل اليمين.

بدلاً من النظر إلى المعاني الأعمق لـ 7 تشرين الاول وإدراك عدم استدامة الوضع السابق للحرب، وإدراك الوهم الذاتي المرتبط بمحاولة "إدارة" القضية الفلسطينية في ظل النمو الاقتصادي، وإدراك خطر التظاهر بأن الفلسطينيين غير موجودين يُقود (الإسرائيليون) إلى قبول نظام فصل عنصري مؤسسي أعمق في الضفة الغربية، واحتلال دائم في غزة وربما جنوب لبنان وازدياد الاستبداد والثيوقراطية في الداخل للأسف، بعد عام من الحرب، أصبحت التهديدات طويلة الأمد لديمقراطية (إسرائيل) وقيمها الليبرالية أكثر خطورة.

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في 25-4-2012 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسيات الاستراتيجية

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة